شهرية السياسة الدولية

بين التصفية والتنظيم

حررت هذه الشهرية بين تاريخين ، بين الخامس عشر من اكتوبر والثالث والعشرين منه . وفى الخامس عشر من اكتوبر كانت الجلسة الختامية لمؤتمر الصلح فى باريس، وقد حدد الثالث والعشرون منه موعداً لانعقاد الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة فى نيويورك . وقد سبق ختام مؤتمر الصلح لانتهاء من محاكمة مجرمى الحرب فى نورمبرج وتنفيذ الأحكام شنقاً فى من قضى عليه بالاعدام ، كما أنه سيتلو انعقاد دورة الأمم المتحدة نفاذ الدستور الجديد فى فرنسا ، وانهماك سائر الدول التى كانت مشتركة فى الحرب فى الاصلاح وإعادة البناء . ومعنى هذا أن هذه الشهرية قد حررت بين التصفية والتنظيم : تصفية حالة الحرب ، وتنظيم وسائل السلام .

فلسفة نورمبرج

ولمحاكمة نورمبرج فلسفة ؛ فهى الأولى فى التاريخ التى عقدت فيها محكمة دولية للنظر فى شؤون جنائية . وهى الأولى فى التاريخ التى يتولى فيها المنتصرون معاقبة زعماء المهزومين . وهى كذلك الأولى فى التاريخ التى يكون موضوعها جرائم الحرب .

لقد أدخلت فى قوانين الحرب والصلح مبدأ المسئولية الشخصية بعد أن كانت تلك القوانين لا تعتبر غير مسئولية الدول ، تفرض عليها الغرامات وتغير فيها التخوم ، ولو أدخلت اعتبار المسئولية الذاتية فانها لم تكن تتجاوز شخص الرئيس الأول إلى أحد غيره من المعاونين ، ولقد كان هذا هو الشأن بالنسبة لنابليون ، وكان هذا هو بعض الشأن بالنسبة لغليوم الثانى . أما القواد والسياسيون والماليون والاداريون فكانت محاكمتهم لمناسبة تصرفاتهم أثناء الحرب هذه هى الأولى . وقد يكون لهذا التصرف شىء من الأثر فى نفوس أولئك الذين يقذفون بأنفسهم وبالعالم كله فى أتون المنازعات والحروب . فقد يكون هذا المثل رادعا لهم يفكرون بسببه مثنى وثلاث ورباع قبل أن يقدموا على فعلتهم . وقد يكون لهذا التصرف أثر فى احترام قوانين الحرب التى تحرم استعمال بعض الأسلحة وبعض الأساليب . لكنه يكون حتما دافعاً إلى التفكير فى أولئك الذين استعملوا القنبلة الذرية فى هوراشيما وناجازاكى دون سابق إنذار بل دون سابق علم للبشرية بهذا السلاح المدمر الجبار !

وفلسفة أخرى لمحاكمة نورمبرج . فقد كان المعروف فى أصول القضاء أن يكتم سر المداولة ، وأن الحكم الذى يصدر بكثرة الآراء دون إجماعها لا يعرف الناس عن تفصيل كثرته بل عن مبدأ هذه الكثرة شيئاً . وفى محاكمة نورمبرج احتج القاضى الروسى على تبرئة الثلاثة المبرئين وعلى خفة

احكم على رابح بالسجن المؤبد بدل الاعدام .

ولتنفيذ الاحكام ذاته فلسفته ، فلم يسمح للصحفيين أول الامر أن يحضروه ، ثم سمح لثمانية منهم به ، ثم امتنع عن حضوره الاثنان الروسيان ، وقيل إن امتناعهما من باب الاحتجاج على إهمال الرقابة المفروضة إلى حد تمكين جورنج من الانتحار . ثم سهر المنفذين على أن يتأكد الالمان أن الانتحار واقع وأن وفاة جورنج ليست راجعة إلى سوء المعاملة .

فلسفة عجيبة تلك التى تتلمسها خلال تصرفات نورمبرج ، وهى فى مجموعها لا تقرب فى نظرنا ساعة الاطمئنان إلى أن البشرية سائرة حقاً فى سبيل القضاء على أسباب الحروب أو بالأقل على أسباب سوء الظن . . .

مؤتمر الصلح

أما مؤتمر الصلح فقد كان هو الآخر مظهراً من مظاهر سوء الظن المتبادل بين الدول العظمى ، بل بينهن وبين الدول الصغرى أيضاً .

تجلى فيه الانقسام بين كتلتين : كتلة الصقالبة وكتلة الانجلوسكسونيين . وتقابلت الكتلتان ووقفت الواحدة منهما للأخرى موقف المخاصم المناضل . وكذلك تجلى فيه عدم الرضا . كان موضوعه وضع معاهدات الصلح مع إيتاليا والمجر وبلغاريا ورومانيا وفنلندا ، فلم ترض واحدة من هذه الدول عن المعاهدة التى فرضت عليها . وزاد عدد الغاضبين من جراء هذه المعاهدات بين الدول المتحالفة المتشاركة فى الحرب ضد أولئك الأعداء الأولين . لم ترض يوجوسلافيا وأعلنت أنها لن توقع على المعاهدة الايتالية لأنها قد ظلمت فى تسوية المسألة التريستية ولم ترض اليونان للتخوم التى تركت لبلغاريا ، ولم ترض البانيا لتخومها مع اليونان ، ولم ترض أثيوبيا لتأجيل النظر فى مسألة المستعمرات الايتالية وإرجاء ضم أرتيريا إلى أملاكها ، ولم يرض أهل طرابلس وبرقة والعالم العربى جميعاً لتعليق مصير ليبيا سنة كاملة .

اليونان

وفى اليونان لا تتجه الأمور إلى الاستقرار . وفيها فى الواقع شبه حرب أهلية بين الشمال والجنوب . وبريتانيا تقول بمبدأ سحبها جنودها من هناك ، ولكنها لا تستطيع تحديد موعد هذا الجلاء . وتريد أن تمون اليونان بالأسلحة والذخائر ، لكنها تخشى أن تنتقل هذه الذخائر والأسلحة من الجيش إلى الخارجين عليه ولاسيما الشيوعيين منهم . ويلوح أن الأمر الآن إلى محاولة جديدة هى محاولة الانتخابات التى تجرى بعد عودة الملك إلى بلاده . وقد تنتهى باشتراك جميع العناصر فيها ، وقد يصل هذا الاشتراك إلى شىء من الهدوء والاطمئنان إلى النتائج .

إيران

ويقابل هذا المسعى فى الطرف الغربى من الشرق الأدنى مسعى آخر فى الطرف الشرقى من الشرق الأوسط . ففى إيران قامت المنافسة بين روسيا وانجلترا . وقالت انجلترا إن روسيا هى التى دبرت الحركة فى أذربيجان . لكن الحركة انتهت ، وانتهت إلى تفاهم من شأنه أن يستقبل الشاه رؤساء الاقليم النافر فيعلنون بين يديه أنهم إيرانيون يستمسكون بالبقاء فى حظيرة إيران . وقامت حركة أخرى فى عربستان قيل إن لانجلترا يدا فى قيامها ، بل إن حكومة طهران قد طلبت إلى الحكومة البريتانية سحب قناصل لها اتهمتهم بأنهم المحركون للقبائل والثوار . واتجهت هذه الحركة الثانية إلى السكون . لكن سكون الشمال كان وراءه انتصار معنوى للروس ، وسكون الجنوب وراءه إخفاق معنوى للانجليز . فأذربيجان نال استقلاله الذاتى ، وعربستان باقية فى حدود إيران لم تنتزع منها وتضم إلى العراق . وإذن فقد اتجهت المساعى — ولاسيما بعد أن أذيع أن روسيا قد دعت إيران إلى عقد محالفة عسكرية بينها وبين الاتحاد السوفيتى — إلى عودة إلى التفاهم على عدم تدخل روسيا فى الشمال ولا انجلترا فى الجنوب ، وتترك إيران بين الاتحاد السوفيتى ومناطق النفوذ البريتانى فى آسيا « منطقة حرام » .

ومن يدرى ! فقد يكون فى هذا الاتجاه خير ، ومن يدرى ! فقد يصح تطبيقه على تركيا بالذات بعد أن قيل إن لروسيا مشروعا ضخما يصل البحر الأسود بالبحر الأدرياتى فبالبحر المتوسط دون الدردنيل والبوسفور !

فى هيئة الأمم المتحدة

وفى جدول اعمال هيئة الأمم المتحدة موضوعان شائكان : أولهما موضوع حق الاعتراض على القرارات ، وهو الممنوح بمقتضى ميثاق سان فرنسيسكو للدول العظمى صاحبة المقاعد الدائمة فى مجلس الأمن . وموضوع معاملة جنوب أفريقيا لأهله الأصليين لأن لهم لونا غير لون الأوروبيين ، وديباجة الميثاق تقضى بعدم التفرقة فى أخذ الناس تفرقة ترجع إلى اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين .

وقد استعملت روسيا خلال الدورة الماضية من دورات هيئة الأمم المتحدة حقها فى الرفض والاعتراض ، واستعملته أكثر من مرة والاتجاه هو إلى حرمانها من هذا الحق . والدول الصغيرة والدول المتوسطة كلها تؤيد بلا ريب إلغاء هذا الحق لأنه واضع لهن فى موضع غير كريم . لكن تعديل الميثاق يستدعى كثرة ثلثى الأعضاء . فهل يوفق الحاملون على الاعتراض للحصول على هذه الكثرة ؟

وسيكون بطل إثارة مسألة إساءة معاملة جنوب أفريقيا لأهله الأصليين هو نهرو الزعيم الهندى . فقد شكت الهند جنوب

افريقيا لهيئة الأمم المتحدة لتميزها فى العاملة بين الأوربيين والهنود . ونهرو هو الذى يتولى رياسة الوفد الهندى هـذه المرة . ومن مبادئه المعروفة الحرية والمساواة للناس جميعاً وبين الناس جميعاً . وستنتهز روسيا الفرصة لتأييد نهرو والتنديد بالسكسونية ؟

إذ لا تقف معاملة الملونين عنـد حد جنوب أفريقيا وحدها بل تتجاوزه إلى الولايات المتحدة بالذات .

وسنرى هل تخرج الهيئة الدولية الجديدة من المحنتين إلى التقدم أو إلى الرجعية ، إلى المساواة أو إلى التمييز . وإنها لتجربة مرتقبة .

محمود عزمى